**العلمانية**

**العلمانية مصطلح تُرجم بمصر والمشرق العربي للكلمة الانجليزية بمعنى : الدنيوي والوقعى والعالمي .. ذلك لان العلمانية هي نزعة فلسفية وفكرية وسياسية واجتماعية ترى العالم مكتفيا بذاته تدبره الأسباب الذاتية المودعة فيه فالعالم والواقع والدنيا هي مرجعية التدبير للاجتماع الانسانى والدولة والحياة ومن ثم فإن الاجتماع والحياة والدولة ليست في حاجة إلى مدبر من خارج هذا العالم ومن وراء هذه الطبيعة والإنسان مكتف بذاته يدبر شئونه ويبدع قيمه ونظمه بواسطة العقل والتجربة وليس في حاجة إلى شريعة سماوية تحكم هذا التدبير**

**فالعلمانية – لذلك –تُضبط بفتح العين لأنها نسبة إلى العالم وهناك في المغرب العربي من يترجمها بالدنيوية**

**ولقد نشأت العلمانية – باوربا - في سياق النهضة الحديثة وكانت من ابرز معالم فلسفة التنوير الوضعي الغربي التي جابه بها فلاسفة التنوير الوضعي الغربي التي جابه به فلاسفة عصر الأنوار – في القرن السابع عشر والثامن عشر سلطة الكنيسة الكاثوليكية بعد إن تجاوزت هذه الكنيسة الحدود التي رسمتها لها النصرانية وهى خلاص الروح ومملكة السماء وترك كا لقيصر لقيصر والاقتصار على ما لله لقد تجازت الكنيسة حدودها رسالتها واختصاصاتها فبعد عصور من سيادة نظرية " السيفين "**

 **اى السيف الروحى او السلطة الدينية للكنيسة والسيف الزمنى اى السلطة المدنية للدولة جمعت الكنيسية السلطتين معا فضمت ما لقيصر الى ما للكنيسة واللاهوت فى ظل نظرية " السيف الواحد "**

**وتحت حكم " البابوات الاباطرة " اضفت الكنيسة قداسة الدين وثباته على المتغيرات الدنيوية والاجتماعية افكارا وعلوما ونظما فرفضت وحرمت وجرمت كل ما لا وجود له فى الاناجيل وبذلك دخلت اوربا عصورها المظلمة الامر الذى استنفر رد الفعل العلمانى الذى حرر الدنيا من كل علاقة لها بالدين ففي مواجهة الكهنوت الكنسي الذي قدس الدنيا وثبتها وجعل اللاهوت النصراني المرجع الوحيد للسياسة جاء رد الفعل العلماني لينزع كل قداسة عن كل شئون الدنيا وليحرر العالم من سلطان الدين وليعزل السماء عن الأرض جاعلا العالم مكتفيا بذاته والاجتماع والدولة والنظم والفلسفات محكومة بالعقل والتجربة دونما تدخل من الدين**

**ولقد ساعدت الملابسات التي نشأت فيها العلمانية على هزيمة الكنيسة وتراجع اللاهوت النصراني أمام النزعة العلمانية وكان التخلف الاوربى شاهدا على فشل الحكم الكنسي الكهنوتي وكانت هذه الملابسات الواقعية والمواريث الدينية والفلسفية في اوربا عونا لانتصار العلمانية على الكنيسة وسلطانها ولقد تميز تياران في إطار فلاسفة العلمانية الأوروبية**

**أولا : تيار مادي ملحد طمح إلى تحرير الحياة كل الحياة - من الإيمان الديني – وكانت الماركسية ابرز إفرازات هذا التيار**

**ثانيا : تيار مؤمن بوجود خالق للكون والإنسان لكنه يقف بنطاق عمل هذا الخالق عند مجرد الخلق فيحرر الدولة والسياسة والاجتماع من سلطان الدين مع بقاء الإيمان الديني علاقة خاصة وفردية بين الإنسان وبين الله ومن فلاسفة هذا التيار " هوبر ( 1588 – 1679 ) ولوك ( 1632 – 1716 ك ) وليبيز ( 1646 – 1646 م) وليسينج ( 1792 – 1871 ) ورسو 17780 1712 م )**

**ولقد ظلت العلمانية خصوصية غربية حتى القرن التاسع عشر عندما جاءت إلى بلادنا الإسلامية في ركاب النفوذ الاجنبى والاستعمار الغربي الحديث وإذا كانت مصر بحكم موقعها قد مثلت طليعة الأقاليم الشرعية في التأثر بالفكر الاوربى ومنه العلمانية فلقد كان وفود العلمانية إليها نموذجا لتسللها من اوربا إلى بلاد الشرق الاسلامى في ركاب النفوذ الاجنبى والاستعمار الحديث**

**فبعد تحطيم النظام الحمائى للصناعة والتجارة الذي أقامه محمد على باشا في مصر زاد نفوذ التجار الأجانب ونشأت على عهد الخديوي سعيد في سنة 1272 هجرية 1855 م أول محكمة تجارية مختلطة بين المصريين والأجانب " مجلس تجار " تسلل إليها القانون الوضعي الفرنسي**

**ومع تزايد أعداد الجاليات الأجنبية ونفوذها وخاصة بعد عقد اتفاقية حفر قناة السويس نشأت المحاكم القنصلية لتقضى في المنازعات الناشئة بين المصريين وبين الاحانب وقضائه أجانب ولغاتها أجنبية وقانونها وضعي علماني ولما زادت فوضى القضاء القنصلي تم إنشاء المحاكم المختلطة بقضاء أجانب ولغة فرنسية وشريعة نابليون وبعد أن كان هذا الاختراق في المحاكم القنصلية ثم المختلطة مقصورا على المنازعات التي يكون احد طرفيها أجنبيا حدث تعميم لبلوى هذا الاختراق العلماني في كل القضاء الاهلى اى فيما عدا المحاكم الشرعية التي انحصر اختصاصها في شئون الأسرة والأحوال الشخصية وكان ذلك عقب الاستعمار الانجليزي لمصر فيما سمى بالإصلاح القضائي سنة 1983 م**

**ولقد استعان الغرب الاستعماري بنفر من أبناء الأقلية المارونية الذين تربوا في الدعوة إلى نموذجه الحضاري العلماني فكان فرج انطوت 1774 هجرية 1922 م أول دعاة العلمانية في بلادنا ثم تخلق للعلمانية تيار فكرى بلغ ذروته في كتاب الشيخ على عبد الرازق ( 1887 – 1966 م ) عن الإسلام وأصول الحكم الذي صدر سنة 1925 م مصورا الإسلام كالنصرانية دينا لا دولة ورسالة لا حكما يدع ما لقيصر وما لله**

**وفى مواجهة هذا التسلسل العلماني إلى بلادنا كانت مقاومة تيار الإحياء والتجديد الديني لعلمانية القانون والنهضة فلقد رأى هذا التيار الاحيائى التجديدي في العلمانية عدوانا على شمولية المنهاج الاسلامى لأنه دين ودولة وجامع بين ما لقيصر وما لله ولان نطاق عمل الذات الإلهية في التصور الاسلامى لا يقف عند مجرد الخلق وإنما هو سبحانه وتعالى خالق ومدبر الأمر**

**فكان رفاعة الطهطاوي ( 1801 – 1873 م ) أول من انتقد تسلل القانون التجاري لنابليون إلى المجلس التجاري في الموانئ التجارية ودعا إلى تقنين فقه المعاملات الإسلامية الوافي بتنظيم المنافع العمومية لان بحر الشريعة الغراء لم يغادر من أمهات المسائل صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وأحياها**

**ونهض القانوني البارز محمد قدري باشا ( 1821 – 1988 م ) وهو من تلامذة الطهطاوي بتقصي فقه المعاملات للمذهب الحنفي ليقدم البديل الاسلامى في القانون كجزء من الرفض والمقاومة للقانون الوضعي العلماني**

**ولقد عبر الإمام محمد عبده ( 1849 – 1905 م ) بلسان مدرسة الإحياء والتجديد الاسلامى عن ضرورة إسلامية النهضة لان الإسلام على عكس النصرانية منهاج شامل فهو كمال للشخص وألفة في البيت ونظام للملك وسبيل الدين لمريد الإصلاح في المسلمين سبيل لا مندوحة عنها**

**ومنذ ذلك التاريخ ظل التدافع سجالا في واقعنا الفكري والقانوني والسياسي بين دعاة العلمنة لمشروعنا النهضوى وبين دعاة إسلامية هذا المشروع**

**وعندما أعادت مصر صياغة قانونها المدني الذي وضعه الدكتور عبد الرازق السنهوري باشا ( 1895 – 1971 م ) والذي طبق عقب إلغاء الامتيازات الأجنبية سنة 1948 م زادت في هذا القانون مرجعية الشرعية الإسلامية عنها في سابقة الذي وضع سنة 1883 م**

**ولما وضعت مصر دستورها الجديد سنة 1971 م نصت مادته الثانية على إن مبادئ الشريعة الإسلامية مصدر رئيسي للقوانين وفى التعديل الذي تم الاستفتاء عليه لهذه المادة سنة 1980 م غدت الشريعة هي المصدر الرئيسي للقوانين فانفتح بذلك الباب الدستوري إمام المشروع المصري لأسلمه القانون ولإجلاء العلمانية عن المواقع التي احتلتها في بلادنا تحت نفوذ وحراب الاستعمار**

 **أ . د / محمد عمارة**